العمل التطوعي في المجتمع العُماني
في فترة ما قبل عصر النهضة
بحث مطبق على عينة من كبار السن

إعداد

عماد فاروق صالح

الأستاذ المساعد بقسم علم الاجتماع والعمل الاجتماعي
كلية الآداب والعلوم الاجتماعية – جامعة السلطان قابوس
سلطنة عمان، وأستاذ مجالات الخدمة الاجتماعية
بجامعة الفيوم – مصر،

مجدي محمد مصطفي عبد ربه

الأستاذ المساعد بقسم علم الاجتماع والعمل الاجتماعي
كلية الآداب والعلوم الاجتماعية – جامعة السلطان قابوس
سلطنة عمان.

المجلة العلمية للخدمة الاجتماعية
العدد الحادى عشر المجلد الأول يونيو ٢٠٢٠م

العمل التطوعي في المجتمع العُماني في فترة ما قبل عصر النهضة (بحث مطبق على عينة من كبار السن)

اعداد وتنفيذ

عمـــــاد فاروق صـــــالح
الأستاذ المساعد بقسم علم الاجتماع والعمل الاجتماعي
كلية الآداب والعلوم الاجتماعية – جامعة السلطان قابوس
سلطنة عمان، وأستاذ مجالات الخدمة الاجتماعية
بجامعة الفيوم – مصر،

مجدي محمد مصطفي عبد ربه
الأستاذ المساعد بقسم علم الاجتماع والعمل الاجتماعي
كلية الآداب والعلوم الاجتماعية – جامعة السلطان قابوس
سلطنة عمان.

ملخص الدراسة

سعى البحث إلى تحقيق هدفا رئيسيا تمثل في تقديم تصور حول طبيعة ونوعية الأعمال التطوعية التي كانت تمارس في المجتمع العُماني في مرحلة ما قبل عصر النهضة، ويندرج البحث تحت مظلة البحوث الوصفية التاريخية التي حاولت أن تصف وضعا تاريخيا للعمل التطوعي في الماضي. وقد اعتمد البحث على المزاوجة بين المنهجين الوصفي والتاريخي للوصول إلى وصف دقيق لواقع العمل التطوعي في تلك المرحلة التاريخية المهمة من حياة المجتمع العُماني، وتم الاعتماد على تطبيق استمارة مقابلة متعمقة على عينة قدرها (٦٤) من كبار السن ذكورا وإناثا موزعين على العديد من ولايات السلطنة، ومن ثم تم اتباع طريقة تحليل المضمون لاستخلاص النتائج الواردة بها. وقد استطاع الباحثان أن يستخلصا العديد من النتائج المهمة التي تصف وضع وطبيعة العمل التطوعي في المجتمع العُماني في مرحلة ما قبل عصر النهضة أي قبل عام ١٩٧٠.

١- الكلمات المفتاحية: التطوع – أنماط العمل التطوعي – المجتمع العُماني – عصر قبل النهضة

Abstract

The current research Aimed to achieve a major goal that represented in presenting a real perception about the nature and quality of voluntary works that was practiced in Omani society in the pre-Renaissance age, due to the nature of the research, it has fallen under the umbrella of historical descriptive researches that attempts to describe a historical situation of volunteering in Omani society in the pre-1970 stage. The researcher relied on the combining between the descriptive and historical approaches to reach to an accurate and specific description of the reality of volunteer work at that important historical stage. The application was carried out through an in-depth interview form prepared specifically for that, applied to a sample of (64) of Elderly male and female distributors on many of the states of Oman Sultanate, the research followed content analysis method to draw conclusions contained therein. The researchers were able to draw many important results that describe the status and nature of voluntary works in Omani society in the pre-Renaissance age.

Keywords:
Voluntarism – Voluntary Work Types – Omani society – Pre-Renaissance.

المجلة العلمية للخدمة الاجتماعية
العدد الحادى عشر المجلد الأول يونيو ٢٠٢٠م

أولا: مقدمة البحث وإشكاليته.

أصبح ينظر إلى العمل التطوعي على أنه ركيزة رئيسة من ركائز البناء الاجتماعي السليم لأي مجتمع إنساني، وذلك لمردوده الايجابي على الفرد والأسرة والمجتمع. فالتطوع هو نتاج لقيم اجتماعية وإنسانية سامية كما أنه يتيح وراءه المزيد من هذه القيم في نفوس المشاركين فيه والمستفيدين منه على حد سواء؛ لذا بات يُنظر إلى العمل التطوعي بأنه عنصر مهم لتكوين رأس المال الاجتماعي والمجتمع المدني، وبالتالي أصبح جزءًا أساسيًا من السياسات الاجتماعية في معظم الدول الغربية (Debbie , Lucas, & Lesley, 2009). كما كان التطوع دائمًا جزءًا من الطبيعة البشرية لمساعدة بعضنا البعض ومساعدة المحتاجين (Moss, 2006)

وتختلف وتتعدد جذور العمل التطوعي باختلاف الثقافات والزمن وكذلك باختلاف الأطر السياسية والدينية والاجتماعية (Chalip, 2000).كما أتى الدين الإسلامي مزودا بكثير من القيم الإنسانية والاجتماعية السامية التي أكدت على أهمية غرسها في نفوس المسلمين لما فيها من خير عظيم ونفع كبير يعود على الفرد والأسرة والمجتمع. ويعد المجتمع العُماني أحد المجتمعات التي يدين معظم سكانها بالدين الاسلامي، ذلك الدين الذي يعطى اهتماما خاصا للعمل التطوعي بوصفه جزء من السلوكيات المستقرة للإنسان المسلم.

لقد تجسدت أنماط العمل التطوعي في المجتمع العُماني متخذة أشكالا عدة، حيث نجد أشكالا من العمل التطوعي متمثلة في: التطوع الفردي والجماعي والقبلي، وسرعان ما تطورت واتخذت أشكالا أكثر تنظيما وتطويرا، تمثلت في ظهور العديد من الجمعيات والمؤسسات الأهلية التي تعمل في المجال الخيري والإنساني وذلك بصدور قانون أحكام الجمعيات الأهلية الصادر بالمرسوم السلطاني رقم14 لسنة ٢٠٠٠ (قابوس بن سعيد، ٢٠٠٠). ومن ثم تعددت أنشطة تلك الجمعيات لتشمل كافة مجالات الحياة في السلطنة، حيث قُدمت الخدمات التطوعية في كثير من مجالات الحياة.

ويعد العمل التطوعي مظهرا حضاريا وواحدا من أبرز أنماط ومظاهر الفعل الاجتماعي الدال على مستوى نضج المجتمع وتطوره، كما أن تطور الأعمال التطوعية يرتبط بتطور الفكر الإنساني وبتطور المجتمعات التي يمارس بها. فكلما زادت وتيرة الأعمال التطوعية الفردية والجماعية والمؤسسية كلما ارتفعت وتزايدت معها مستويات الرعاية الاجتماعية للمواطنين وانعكست على مكانة المجتمع مقارنة بغيره من المجتمعات الأخرى (Scott, 2019). وما كان للأعمال التطوعية غير المؤسسية أن تتطور وترتقي وتأخذ الشكل المنظم كما هو الحال في كثير من الدول؛ إلا بعد أن أدرك الناس عدم كفاية الخدمات التي كانت تقدم لهم من خلال الأعمال التطوعية الفردية والجماعية. وننوه هنا إلى اعتماد أنظمة رعاية الفقراء في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين على الجهود التطوعية من ناحية، ومن ناحية أخرى كان هناك انتقال من العمل الخيري الفردي والتطوعي إلى الخدمات الاجتماعية المهنية القائمة على أسس علمية؛ (GREGOROVÁ & Matej , 2014, p. 100). وهذا ما لم يشهده المجتمع العماني في الماضي، إذ ظل الاعتماد قائما بشكل أساسي على الجهود التطوعية حتى حدث التغيير الجذري في عام ١٩٧٠م.

وتشير كثير من الدراسات السابقة إلى وجود متغيرات عديدة تؤثر على إقبال الأفراد على التطوع مثل: الموارد الشخصية والموارد الاجتماعية والموارد الثقافية والموارد السكانية، تلك التي تؤثر على قرار الفرد بالتطوع وعدد ساعات التطوع والمنظمات التي يرغب في التطوع إليها (Sundeen, Garcia, & Wang, 2007, p. 245).

ويتزايد الاهتمام في الفترة الحالية بالتطوع من ناحيتين: الأولى الأنشطة التطوعية وتفعيلها، والثانية تتمثل في الدراسات والبحوث التي تتناول الأعمال التطوعية من كافة جوانبها: أنماطها ومحفزاتها ومعوقاتها وعوائدها المجتمعية؛ إلا أننا نرى أن التناول الأكاديمي على مستوى الدراسة والبحث لمجال العمل التطوعي لم يركز إلا على الواقع الحاضر للعمل التطوعي ولم يمتد إلى الماضي ليتعرف على أنماط وأشكال العمل التطوعي ودوافعه ومستوياته.....إلخ؛ ومن ثم فنحن في حاجة ماسة إلى محاولة جمع التراث المتعلق بالعمل التطوعي بالمجتمع العُماني وتحديدا في فترة ما قبل عصر النهضة(*) قبل أن تنعدم فرص جمعه ولا نتمكن من ذلك، لذا فإننا نحدد مشكلة البحث في محاولة التعرف على طبيعة وأنماط العمل التطوعي التي كانت تمارس قديما في المجتمع العُماني، وتحديدا في مرحلة ما قبل عام ١٩٧٠م، والتي تعرف بمرحلة ما قبل عصر النهضة.

ثانيا: مفاهيم البحث

تضمن البحث مفهومين أساسيين هما مفهوم العمل التطوعي ومفهوم المسن.

مفهوم العمل التطوعي:

ورد في معجم " Webster " أن التطوع يعني مبدأ أو نظام لعمل شيئا ما بالاعتماد على عمل تطوعي أو متطوعين، كما يشير المعجم إلى بعض الخصائص التي يتضمنها التطوع: عمل منبثق من إرادة الفرد أو بناء على اختياره، ينبغي توفر النية أو القصد، وهو عمل متصل بإرادة الفرد، ويشترط الاختيار الحر ويكون مصحوبا بعمل، الفعل أو العمل يكون بدون مقابل مادي أو إجبار قانوني (Webster , 2020).

والمتطوع هو الشخص الذي يعرض نفسه طواعية لخدمة أو لأداء مهمة، وهو الشخص الذي يؤدي الخدمة عن طيب خاطر وبدون أجر (Dictionary.com, 2019).

والعمل التطوعي هو نشاط غير مدفوع الأجر حيث يمنح شخص ما وقته لمساعدة منظمة غير ربحية أو فرد لا يرتبط به (Voluntary Action Rotherham, 2019) كما عرف Barker 1987 التطوع على أنه تلك الحركات التي ينفذها أفراد أو جماعات دون انتظار مقابل مادي، لتقديم خدمات إنسانية خارج إطار المؤسسات الحكومية (Barker, 1987). كذلك فقد تم الإعلان عن المفهوم الأسترالي للعمل التطوعي Volunteering Australia في يوليو ٢٠١٥، حيث قصد به أنه الوقت الذي يقُضى عن طيب خاطر من أجل الصالح العام وبدون مكاسب مالية، كما يمكن أن يتضمن العمل التطوعي مفهوم المعاملة بالمثل مثل المشاركة في جماعات، حيث يتم إجراء المساعدات المتبادلة والخدمات لصالح الآخرين وكذلك المتطوع (govolunteer.com, 2015). كما يوصف العمل التطوعي بأنه شكل من أشكال السلوك الاجتماعي الذي يتضمن قرارًا يتم اختياره بحرية للتضحية بقدر كبير من الوقت والجهد لمساعدة شخص أو جماعة أو سبب آخر، ويتم عادةً من خلال منظمة غير ربحية (Schroeder, D., Graziano, W., Stukas, A., & Snyder, M, 2015).

لقد تم تناول مفهوم التطوع من روئ متعددة، حيث ركزت الرؤية الاجتماعية على التنظير لمفهوم التطوع من خلال ربطه بوقت فراغ، بينما عمدت الرؤية النفسية إلى فهم الدوافع التي تدفع المتطوعين إلى المشاركة في العمل التطوعي، في حين ركز التناول الاقتصادي على فهم أسباب التطوع بالإضافة إلى مزيد من البحث في تقدير عائد أو قيمة مساهمات المتطوعين (Lockstone-Binney, Kirsten, Smith, & Baum, 2010). ونتيجة لذلك لا يوجد مفهوم متفق عليه للتطوع (Cnaan, Handy, & Wadsworth, 1996) ومن ثم فإن مفهوم التطوع هو موقفي ويأخذ معاني مختلفة وأوجه عدة في بيئات

(*) يؤرخ لعصر النهضة في المجتمع العماني منذ الفترة التي تولى فيها المغفور له بإذن الله تعالي السلطان قابوس بن سعيد مقاليد الحكم في السلطنة في عام ١٩٧٠م.

مختلفة(Tuan, 2005) . ومن خلال استعراض المفاهيم المتعددة للتطوع يمكنا تفهم أهميته واعتبار أن الفهم الصحيح له يبين لنا مدى الحاجة الشديدة لتبنيه وتطويره وتكثيف استخدامه في مجتمعاتنا المعاصرة.

ومن وجهة نظرنا نرى أن التطوع ما هو إلا فعل اختياري حر هادف مدفوع بدافع إنساني خيري أوديني، يقوم به الإنسان بشكل فردى أو جماعي أو مؤسسي، قد يتم بطريقة تلقائية أو منظمة متخذا أشكالا متعددة منها: التبرع بالمال أو بالجهد أو بالعمل أو الفكر والرأي أو الدعم المعنوي لمن هم في حاجة أو عوز أو مساعدة لأي إنسان داخل حدود المجتمع أو خارجه مع عدم انتظار أي مقابل مادي أو معنوي جراء ذلك.

مفهوم المسن:

يُعد المسنون المصدر الوحيد الذي يمكن الاعتماد عليه في الحصول على المعطيات الميدانية المستهدفة. وتمثل مرحلة المسنين مرحلة عمرية لها خصائصها البيولوجية والاجتماعية والنفسية التي تميزها عن غيرها من المراحل العمرية الأخرى التي يمر بها الإنسان. وغالبًا ما تُعرِّف الأبحاث الطبية الشخص على أنه كبير السن عندما يكون عمره ٦٥ عامًا أو أكبر (Sabharwal, Wilson, Reilly, & Gupte, 2015). وبالرغم من وجود تعريفات شائعة الاستخدام للشيخوخة، فإنه لا يوجد اتفاق عام على العمر الذي يصبح فيه الشخص مسنًا، إلا أنه من الملاحظ قبول معظم دول النامية العمر ٦٥ عامًا كتعريف لـ "المسنين" (World Health Organization, 2002).

كما أن هناك من يؤكد على أن المسن هو من يصل إلي سن الستين (٦٠) ويشعر بالتغيرات المادية والجسدية وهذه التغيرات تختلف من فرد لآخر (Green & knee, 1996, p. 45). كما نجد من عرف المسن بأنه ذلك الشخص الذي وصل إلي سن ٦٠ عاماً فأكثر والذي وصل إلي مرحلة من العمر تجعله غير قادر علي الإنجاز والابتكار لظروف صحية وبيئية ونفسية تحول دون تحقيق ذلك (Marshall & Dixon, 1996, p. 61).

ويتبنى البحث الحالي التعريف الأكثر انتشارا للمسن والذي تتبناه الأمم المتحدة وهو الذي يتحدد بسن الـ ٦٠، كما أنه يتماشى مع ما هو معمول به من قوانين للعمل في السلطنة، ويعد المسنون في البحث الحالي المحور الرئيسي لاستقاء البيانات والمعلومات المرتبطة بموضوع البحث، فهم وحدهم دون غيرهم القادرون على إمدادنا بالتراث اللامادي المتعلق بالعمل التطوعي من منظور وصفي تاريخي.

رابعا: **أهداف البحث**.

سعى البحث الحالي إلى الوصول إلى الهدف الرئيسي التالي المتمثل في: جمع التراث المتعلق بطبيعة ونوعية الأعمال التطوعية التي سادت في المجتمع العُماني في مرحلة ما قبل عصر النهضة. ويتفرع منه الأهداف الفرعية التالية:

١. التعرف على أنماط الأعمال التطوعية العامة.
٢. التعرف على أنماط الأعمال التطوعية الموسمية ذات الطبيعة الدينية.
٣. التعرف على أنماط الأعمال التطوعية المرتبطة بالنشاط الاقتصادي.
٤. التعرف على أنماط الأعمال التطوعية المرتبطة بالعلاقات الأسرية وحسن الجوار.
٥. تحديد نوعية الفئات المشاركة في تلك الأعمال التطوعية بالمجتمع العُماني.

خامسا: **تساؤلات البحث**.

تمثل التساؤل الرئيسي التالي: ما طبيعة ونوعية الأعمال التطوعية التي سادت في المجتمع العُماني في مرحلة ما قبل عصر النهضة؟"، ويتفرع منه التساؤلات الفرعية التالية:

١. ما أنماط الأعمال التطوعية العامة؟

٢. ما أنماط الأعمال التطوعية الموسمية ذات الطبيعة الدينية؟
٣. ما أنماط الأعمال التطوعية المرتبطة بالنشاط الاقتصادي؟
٤. ما أنماط الأعمال التطوعية المرتبطة بالعلاقات الأسرية وحسن الجوار؟
٥. ما الفئات المشاركة في الأعمال التطوعية في تلك المرحلة؟

سادسا: الأهمية العلمية للبحث.

١. يُعد البحث الحالي في حد ذاته من أول المحاولات البحثية التي تسعى لتوثيق التراث التطوعي الخاص بالمجتمع العُماني توثيقًا علميا.
٢. إن إجراء البحث الراهن في هذه المرحلة الآنية يعد ضرورة مهمة لجمع تراث العمل التطوعي المعرض للاندثار، خاصة وأن المبحوثين المعاصرين المُلمين بهذا التراث من كبار السن، وقد يكون من الصعب جمع هذه البيانات في مرحلة لاحقة. فلم يزل المسنون والمسنات يضطلعون بدور مهم في المجتمع، بوصفهم صف القيادة وحماة التراث لأي مجتمع إنساني (منظمة الأمم المتحدة، ٢٠١٩).
٣. يتوقع أن توفر نتائج هذا البحث مادة علمية مهمة تُمكن الباحثين والمختصين من إجراء المقارنات للتعرف على حجم ومستوى التطورات في الممارسات التطوعية قبل عام ١٩٧٠م وما بعدها.
٤. تمثل النتائج المتوقعة من البحث الراهن رافدا مهما لإمداد الباحثين في مجال العمل التطوعي بكثير من المعارف والمعلومات المتعلقة بتاريخ العمل التطوعي في المجتمع العُماني.

سابعا: الإجراءات المنهجية للبحث.

ينتمي البحث الحالي إلى نمط البحوث الوصفية التي تحاول وصف وضع تاريخي يخص ظاهرة بعينها، ألا وهي الأعمال التطوعية بالمجتمع العُماني في مرحلة ما قبل عام ١٩٧٠م. وقد تمت المزاوجة بين المنهجين الوصفي والتاريخي للوصول إلى وصف دقيق ومحدد لواقع العمل التطوعي في تلك المرحلة التاريخية، كما تم تطبيق دليل للمقابلة المتعمقة بعد التأكد من صدقها وصلاحيتها للتطبيق. وطبقا لطبيعة البيانات الميدانية تم الاعتماد على أسلوب التحليل الكيفي لتحليلها. أما فيما يتعلق بمجالات البحث فقد تمثل المجال البشرى في كافة المسنين ذكورا وإناثا الذين تجاوز عمرهم ٦٠ عاما وقت تطبيق البحث، وطبقا لطبيعة البحث الكيفية فقد تمكن الباحثان من مقابلة عينة بحثية مكونة من ٦٤ مسنا من الذكور والإناث.

ثامنا: التحليل الكيفي للمعلومات والبيانات الميدانية.

وصف مجتمع البحث:

تمثلت عينة البحث في عدد ٦٤ من كبار السن بالمجتمع العُماني الذين تراوح سنهم بين ٦٠ إلى ٩٣ سنة بمتوسط قدره ٦٩.٤٣ سنة، وقد اشترطت طبيعة البحث بلوغ المبحوثين سن الـ ٦٠ فأكثر حتى تكون لديهم المقدرة على وصف طبيعة الأعمال التطوعية بمختلف أنماطها وأنواعها في تلك المرحلة التاريخية. وقد مثل الذكور نسبة ٥٤.٧% بينما مثلت الإناث نسبة ٤٥.٣٠%، كما هو موضح في الشكل اللاحق.

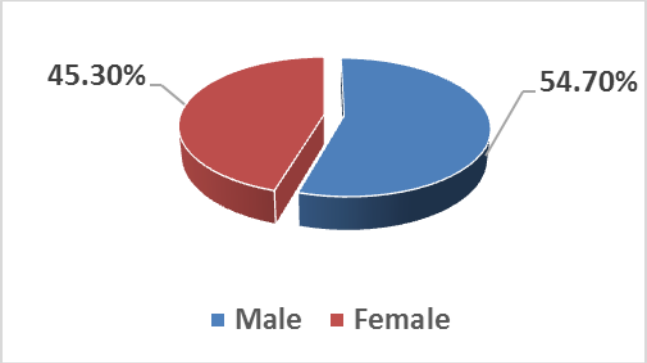

شكل توضيحي ١ توزيع المبحوثين طبقا للنوع

كما ضمت عينة البحث مبحوثين من تسع محافظات، على الرغم من محاولة الباحثين مقابلة مبحوثين من كافة محافظات السلطنة الإحدى عشر للحصول على مادة ميدانية خاصة بالتراث الإنساني في العمل التطوعي تتسم بالثراء من نطاق جغرافي متنوع.

جدول ١ توزيع المبحوثين على محافظات السلطنة

المحافظة	العدد	النسبة
جنوب الشرقية	18	28.1
شمال الباطنة	9	14.1
جنوب الباطنة	8	12.5
الداخلية	8	12.5
الظاهرة	7	10.9
شمال الشرقية	6	9.4
ظفار	5	7.8
مسقط	2	3.1
الوسطى	1	1.6
المجموع	64	100.0

ويعكس الشكل التوضيحي ٢. توزيع العينة على المناطق الجغرافية المختلفة بالمجتمع العُماني: الريفية والحضرية والصحراوية، حيث مثل المبحوثون من المناطق الريفية النسبة الأعلى ٥٩.٤٠%، بينما مثل المنتمون للمناطق الحضرية نسبة ٢١.٩٠%، وفي الترتيب الأخير بلغت نسبة المبحوثين من المناطق الصحراوية ١٨.٨٠%.

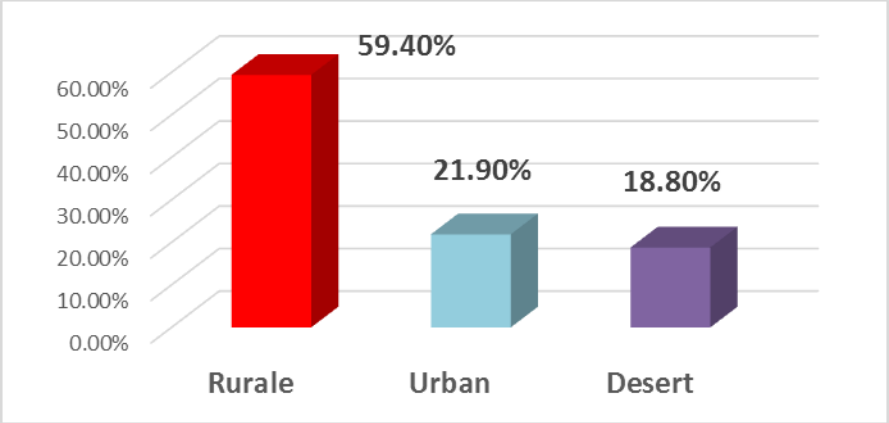

شكل توضيحي ٢ توزيع المبحوثين طبقا للمنطقة الجغرافية.

أما من حيث المستوى التعليمي للمبحوثين، فقد مثل الأميون النسبة الأكبر حيث بلغت نسبتهم ٦٥.٦%، بينما بلغت نسبة من يقرأ ويكتب ٢٩.٧% وأخيرا بلغت نسبة من حصلوا على الشهادة الابتدائية ٤.٧% فقط، وقد لوحظ خلو العينة من المتعلمين والحاصلين على شهادات جامعية أو عليا؛ حيث اتسمت طبيعة مرحلة ما قبل عصر النهضة بمحدودية إتاحة فرص التعليم للمواطنين؛ حيث تشير إحدى الدراسات السابقة إلى أنه لم يكن في سلطنة عمان في بداية عهد التعليم أي نظام تعليمي رسمي، حيث كان التعليم يتم داخل المساجد أو في البيوت ويقتصر على تعليم الذكور دون الإناث ومن هم من ميسوري الحال، فكانت أشبه بالكتاتيب التي يتلقون فيها تعاليم القرآن والسنة النبوية دون العلوم الأخرى (العثمان، ٢٠١٣، صفحة ٧٥).

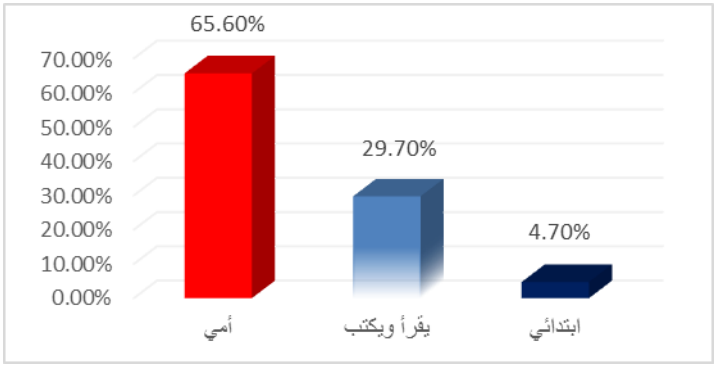

شكل توضيحي ٣ توزيع المبحوثين طبقا للحالة التعليمية.

التحليل الكيفي للبيانات:

بعد القراءة الأولية لاستجابات المبحوثين رأى الباحثان وجوب وضع خريطة واضحة للتحليل تعتمد على السير في ثلاثة محاور رئيسية؛ بغرض التعرف على الأعمال التطوعية في تلك الفترة في كافة المناطق الجغرافية: الريفية والحضرية والصحراوية، كما اتبع تحليل البيانات عدة مسارات فرضتها طبيعة المادة الميدانية وهي: الأعمال التطوعية العامة، والأعمال التطوعية الموسمية ذات الطبيعة الدينية، والأعمال التطوعية المرتبطة بطبيعة النشاط الاقتصادي، والأعمال التطوعية المرتبطة بالعلاقات الأسرية وحسن الجوار، وأخيرا تحديد أبرز المتطوعين التقليديين في تلك المناطق.

النتائج المتعلقة بنماذج العمل التطوعي في المجتمعات الصحراوية قبل ١٩٧٠م.

لعبت طبيعة المنطقة الجغرافية دورا مهما في زيادة تكاتف وتعاون أهل البادية مع بعضهم في محاولة منهم للتعامل بفعالية مع الطبيعة القاسية، وذلك بغرض التغلب على المشكلات الحياتية اليومية التي كانت تواجههم، وبالتحليل الكيفي للاستجابات المتعلقة بهذا الموضوع تمكنا من استنتاج العديد من الأعمال التطوعية التي تميزت بالانتشار في تلك المناطق والتي تمثلت في الأعمال التالية:

الأعمال التطوعية العامة:

يقصد بها كل الأعمال التي يستفيد منها أهل المنطقة وغيرهم دون استثناء، أي أن العمل التطوعي يتم تنفيذه ليخدم جميع أهل المنطقة وغيرهم بل ويمتد أثره لخدمة الأجيال اللاحقة، إذ أكدت أكثر من حالة من الحالات التي تنتمي للمناطق الصحراوية على عدم وجود أية أنشطة تعليمية منظمة ومعتمدة من قبل الدولة في مناطقهم، ويمكن الاستشهاد بما ورد على ألسنة بعضهم: "*ما كان في تعليم ولا حد يسأل عن ذلك*" وتؤكد حالة أخرى "*التعليم هذا شيء نادر*" ، وتؤكد حالة ثالثة "*ما كان حد يعرف القراءة والكتابة في منطقتنا وكان يأتي لنا رجال من مناطق أخرى يحفظوا الأولاد القرآن ويعلموهم*"، كل هذ التعليقات أكدت على عدم وجود الفرص التعليمية مما دفع أهل المنطقة إلى التفكير بجدية لتجهيز أماكن للتعلم.

كما مثل الماء الذي يعد أهم عناصر الحياة البشرية والحيوانية والنباتية المطلب الرئيس والأهم، ذلك المطلب الذي من خلاله تمكن الإنسان البدوي من تحقيق التكيف مع الحياة الصحراوية القاسية، ورغم صعوبة العيش فيها وصعوبة توفير مقومات الحياة الأساسية، إلا أنّ الإنسان حاول مرات وتحايل مرات أخرى عليها بطرق متعددة؛ في محاولة منه للتكيف معها، فتعاون مع غيره في اكتشاف عيون الماء وحفر الآبار وتنظيفها من أجل توفير مورد نظيف لتحقيق الاكتفاء الذاتي من مياه الشرب والزراعة، وفى هذا الصدد يمكن الاستشهاد بما ورد على ألسنة المبحوثين أنفسهم من سكان تلك المناطق حيث يقول أحدهم "*إن أهم شيء في حياتنا وجود الماي*"، "*البير أهم من البيت*"، *لما نريد ننظف البير منا نحنا ناس يقومن بهذا الشيء من نفسهم وبدون مقابل، هو يشرب والناس والحيوان يشرب*".

ويرى كثير منهم أن توزيع الأدوار وتقسيم العمل بين السكان كان تلقائيا وطبيعيا ولم يكن في حاجة إلى بذل جهد لتنظيم الناس؛ حيث كان يتطوع الرجال والشباب للدفاع عن البيوت والممتلكات والحيوانات والحماية من اللصوص أو هجوم حيوانات مفترسة.

كما أكد غالبية المبحوثين على تطوع أبناء القبيلة أو المنطقة في مساعدة غيرهم من السكان في بناء بيوت من الطين والمواد الخام المتاحة في البيئة الصحراوية، وكان العاملون في البناء لا يتقاضون أية أجور، حيث يقول أحد المبحوثين إنه شاهد بناء منزلهم عندما كان طفلا صغيرا حيث يصف ذلك قائلا "*كان شخص يبنى المنزل ومعه عدد من الناس يساعده وكان أبي يساعدهم وأمي تجهز لهم الغدا وتصب لهم القهوة مع الرطب، وكانوا مبسوطين وسعداء بالرغم من تعبهم إلا أنهم ما يحصلوا فلوس*".

كذلك فرضت الظروف القاسية مع عدم توفر أية أنظمة صحية تقليدية؛ تعاون الناس في للتغلب على ظروفهم المرضية الطارئة أو العادية. حيث انتشر الطب الشعبي في تلك المناطق وكان من يمارسونه معروفين لكافة السكان بل وكانت تمتد سمعتهم العلاجية إلى مناطق مجاورة حيث يؤكد على ذلك الكثير من المبحوثين "*فلان هذا مشاء الله كأنه طبيب وأحسن، فلان تروح له على طول يعطيك الفايدة، الله على فلان يجبر الكسر زين، فلان يطلبونه بالاسم*"، وهكذا كان العمل التطوعي في مجال مكافحة الأمراض والكسور والظروف الطارئة مهما ومنتشرا في كافة التجمعات السكانية الصحراوية في الماضي بالسلطنة وقد ساعد في ذلك عدم وجود المستشفيات في مناطق

قريبة من السكان حيث لم توجد إلا في المدن الكبرى بالسلطنة مثل مسقط وصلالة وغيرها. ومن خلال التحليل الكيفي للنتائج الميدانية المتحصل عليها أمكن استنتاج أهم الأعمال التطوعية العامة التالية:

- المشاركة في بناء فصول دراسية بسيطة وتقليدية من الطين لتعليم الأطفال.
- قيام المطوع الزائر أو ابن المنطقة بتعليم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ومبادئ الحساب.
- المساعدة في بناء المساجد، حيث كانت المساجد تبنى باستخدام أدوات بناء تقليدية بدائية كالطين والحجر.
- المشاركة في حفر الآبار للحصول على الماء واتاحة البئر لكل الناس المتواجدين في المنطقة أو المارين بها، بالإضافة إلى شرب الحيوانات بمختلف أنواعها.
- علاج المرضى بالأعشاب الطبيعية، أو ما يسمى بالعلاج الشعبي أو التقليدي وذلك بتقديم هذه النوعية من العلاج بدون مقابل مادي ومن منطلق إنساني.
- الحراسة والحماية من الأخطار والتصدي للصوص والحيوانات المفترسة.
- التطوع في حالات النجدة والإغاثة.

الأعمال التطوعية الموسمية ذات الطبيعة الدينية:

هي الأعمال التي كان كان يقوم بها أهل المنطقة بشكل فردي أو جماعي منطلقين من دوافع دينية، وكانت تزداد هذه الأعمال في المواسم الدينية، كما هو الحال في شهر رمضان المبارك وفي الأعياد والمناسبات الدينية. وقد بين التحليل الكيفي للمادة الميدانية المتحصل عليها زيادة الأعمال التطوعية بشكل ملحوظ في هذه المناسبات؛ ومن ثم أمكن للباحث استنتاج تأكيد معظم المبحوثين على انتشار الأعمال التالية:

- قيام أهالي بتجهيز وإرسال طعام الإفطار للمسجد في شهر رمضان.
- تبادل الأطعمة بين الجيران في شهر رمضان، وإطعام العمال الغرباء.
- توزيع مبالغ نقدية رمزية على الأطفال في الأعياد.
- رعاية الأيتام وكفالتهم.
- تجميع المال لتقديم بعض المساعدات المالية أثناء رحلة الحاج.
- الاهتمام بأسرة الحاج أثناء رحلة الحج ورعاية أسرته أثناء سفره.

الأعمال التطوعية المرتبطة بالنشاط الاقتصادي:

هي تلك الأعمال التي كان يرتبط تنفيذها بطبيعة النشاط الاقتصادي الممارس، سواء كانت دائمة أو موسمية ومن ثم فإن هذه الأعمال التطوعية لن تخرج عن إطار المساعدة في أعمال الرعي والزراعة وجنى وحصاد الثمار والمحاصيل، حيث اهتم المواطن العُماني بالنخيل وأعطاه الكثير من الوقت والجهد لما تمثله النخلة ومنتجاتها من أهمية كبرى في حياته. وقد تميز موسم "القيظ" بالعديد من الممارسات التي أصبحت مع التكرار بمثابة عادات وتقاليد تم ترسيخها في الثقافة العُمانية بشدة لدرجة اعتبارها شكل أو أسلوب من أساليب الحياة الدائمة بالنسبة للعمانيين.

ومن أهم هذه الأعمال:

- رعاية المواشي الخاصة بالجيران وأهل القرية في حال غياب أصحابها.
- المساعدة في أعمال المزارع
- المساعدة في موسم الرطب وفي عملية جنى التمور والتي تسمى "الجداد" وهي عبارة عن تخزين التمر في مساحة كبيرة تسمى "المُسطاع" وذلك من خلال وضعه على بسط ومن أسفله " دعن" مصنوع من سعف النخيل ثم يتم غسله بالماء لتنقيته من الأتربة والشوائب.

- حفر الآبار وتنظيفها لشرب الإنسان والحيوان ولزراعة وري المحاصيل والمزروعات.

الأعمال التطوعية المرتبطة بالعلاقات الأسرية وحسن الجوار:

شكلت العلاقات الاجتماعية الطيبة جزءا مهما من كينونة المواطن العُماني في كافة المناطق الجغرافية بالسلطنة، بل وازدادت هذه العلاقات قوة بصفة خاصة في المناطق الصحراوية التي فرضت طبيعتها الترابط والتعاون والتكامل لمواجهة الأخطار المتكررة؛ لذا أعطي البدو أهمية خاصة لتلك الأعمال التي تقوي وتزيد روابط الأخوة والمحبة بينهم. وفي هذا الصدد أكد الكثير من المبحوثين على انتشار الكثير من الأعمال التطوعية التي تبين علاقات حسن الجوار والترابط الأسري، ومن أهم هذه الأعمال ما يلي:

- ائتمان الجار على أسرة جاره المسافر (توفير الأمن – المستلزمات اليومية – وكانت هذه المتابعة تتم بواسطة زوجة الجار في معظم الأحيان).
- التعاون في حالات الولادة حيث يقوم أهل المنطقة من الرجال بتجميع مبلغ من المال لإعانة عائلة المولود الجديد، أما النساء فيقمن بتنظيف منزل المرأة الوالدة وتجهيز الطعام لها ولأسرتها طوال فترة الراحة من الولادة.
- التطوع في رضاعة الأطفال من خلال قيام إحدى الجارات بإرضاع الطفل في حال مرض أو غياب الأم أو تأخرها في الرعي أو انشغالها بعمل ما.
- التطوع لمساعدة الجيران أوقات الوفاة والعزائم والأفراح، وكذلك التطوع لإحياء ليالي الاحتفالات والأفراح.
- التعاون في بناء منازل الجيران من خلال تبرع البعض بسعف النخيل، والبعض يجهز الطين.... إلخ.
- السماح للجيران باستخدام الجمال الخاصة بغيرهم لنقلهم من مكان إلى آخر أو كوسيلة للمواصلات لقضاء بعض المصالح.
- اصلاح ذات البين وحل المشكلات التي تنشأ بين بعض الناس في القرية، والمشكلات الأسرية.
- المساعدة التطوعية في تنفيذ الأعمال المنزلية، وتكثر هذه الأعمال في حالة قدوم ضيوف للأسرة.
- القيام ببعض الأعمال الضرورية التي لا تستطيع النساء القيام بها في حالة وجود ظرف يمنعها كالإصابة بمرض أو عجز، مثل قطع الأخشاب وحملها، وجلب المياه من الآبار، وتربية الماشية والأبقار وحلبها.

المتطوعون التقليديون في المناطق الصحراوية تمثلوا في:

في ضوء الاستنتاجات السابقة أمكن لنا تحديد بعض المتطوعين الذين أسهموا بدور كبير في إحياء واستمرارية الأعمال التطوعية في المناطق الصحراوية؛ فعلى الرغم من مشاركة الجميع في الأعمال التطوعية إلا أننا لاحظنا تأكيد المبحوثين على بعض الممارسات التقليدية التي وسمت تلك الفترة، ومن بين هؤلاء المتطوعين نجد: الدعاة و محفظي القرآن الكريم، والمزارعين، والبناءين، والمعالجين بالأعشاب والمجبرين، والمتخصصين في حفر وصيانة الآبار، والمرضعات، والقابلات (المولدة الشعبية).

النتائج المتعلقة بنماذج العمل التطوعي في المجتمعات الريفية:

تعددت وتنوعت الأعمال التطوعية التي مارسها العُمانيون في مناطقهم الريفية في فترة ما قبل عام ١٩٧٠م. حيث لعبت طبيعة المناطق الريفية وأنشطتها

الاقتصادية دورا مهما في زيادة تكاتف وتعاون أهل الريف مع بعضهم في محاولة منهم لمساعدة بعضهم على التكيف والتعايش مع ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية التي كانت سائدة في تلك الفترة. لقد حاول العُمانيون التغلب على مشكلاتهم الحياتية اليومية من خلال ابتكار أساليب وأعمال تطوعية متعددة ساعدتهم على التكيف مع الواقع الصعب، ومن خلال التحليل الكيفي للاستجابات المتعلقة بهذا الموضوع تمكنا من استنتاج العديد من الأعمال التطوعية التي تميزت بالانتشار في المناطق الريفية، كما أننا سوف نتبع نفس المسارات السابقة في استعراض أهم وأكثر الأعمال التطوعية انتشارا في المناطق الريفية: -

الأعمال التطوعية العامة بالمناطق الريفية:

يمكن أن نشير هنا إلى تأكيد غالبية المبحوثين الذين ينتمون لتلك المناطق على وجود العديد من الأنشطة التطوعية التي سادت في مناطقهم؛ حيث أكد غالبيتهم على أن التطوع في المجال التعليمي أتى على رأس تلك الأعمال التطوعية، فكما سبق أن أوضحنا أن الافتقاد إلى نظام تعليمي رسمي أو حتى شبه رسمي جعل العُمانيين يفكرون في كيفية الاعتماد على ذواتهم لتعليم أبناء القرية؛ وفى هذا الصدد يقول أحد المبحوثين:

" التعليم أهم شيء وما كان في مدارس ولا فصول، كنا نعتمد على بعض الناس اللي يدرون يقرأون ويكتبون زين لنعلم الأطفال والكبار"، ويقول ثان" حفظ وتعليم القرآن كان عليه إقبال من كل اهل القرية وكان عندنا مطوعين يعلمون الناس بدون مقابل"

وللتأكيد على قيمة التعليم بالنسبة لأبناء القرى؛ يؤكد على ذلك ما جاء على لسان أحد المتطوعين القدامى بالقري الريفية حيث يقول:

" أنا كنت أجمع الأولاد أعلمهم سور من القرآن الكريم وأعلمهم ألف، ب".

كما أضاف متطوع آخر:

" كانت الأعمال التطوعية موجهة إلى كل أهالي القرية دون استثناء عائلة أو فرد، ولم يكن هناك استثناء لطبقة ما أو قبيلة ومنصب وانما الكل يتشارك في تقديمه للمساعدة والتطوع فمثلا موسم حصاد المحاصيل المختلفة كان لكل أهل القرية الجميع يتشارك ويتطوع في الحصاد.

ويرى مبحوث آخر أن تبني مبدأ المبادرة كان ملحوظا بدرجة كبيرة، بل وكان يتضمن سباقا وتنافسا على أحقية تقديم العمل التطوعي، حيث يقول:

"زمان أول القلوب متصافيه الكل للكل. لا أحد ينتظر أن يطلب منه وإنما المبادرة كانت حاضرة. كان التسابق للأجر وعون الآخرين من صفات كل أبناء القرية. وأحيانا تحدث مشادات بين كبار السن في الأحقية في تقديم المعونة لشخص محتاج."

وتؤكد إحدى المبحوثات على إسهام زوجها في العمل التطوعي حيث ذكرت:

"كان زوجي يقوم مع بقية أفراد القرية بتعديل الطرق وتنظيفها بعد نزول الوادي وتخريبها".

وفى ضوء الشواهد السابقة أمكن استخلاص أهم وأكثر الأعمال التطوعية انتشارا في المناطق الريفية والتي نوردها كما يلي:

- تعليم أبناء القرية القراءة والكتابة ومبادئ الحساب وحفظ القرآن الكريم وعقد حلقات الذكر والدروس الدينية.
- بناء وتثقيف المنازل من خلال استخدام جريد النخل وسعفه، حيث كان يتم الاعتماد على بعض المواطنين المحترفين في بناء المنازل باستخدام مواد من البيئة كالطين والأحجار ومخرجات النخيل.
- طحن الحبوب من خلال استخدام " الرحى" توضع في مكان ظاهر في القرية وكانت المرأة التي لا تستطيع تشغيلها وطحن حبوبها تترك الحبوب لتأتي متطوعة لطحنها دون معرفة من قدم الخدمة ومن تحصل عليها.

- إغاثة الملهوفين والغرقى وضحايا انهيار الأفلاج.
- إعادة فتح الطرق التي أغلقت نتيجة للسيول ..... إلخ وكذلك فتح وتنظيف مجاري الأودية وقت نزول الأمطار حتى يمكن تخفيف الأضرار المتوقعة.
- جلب المياه من الآبار البعيدة والأفلاج لتوزيعها على بيوت الحارة.
- الدفاع عن القرية وأهلها وحراستها ليلا أثناء فترات الحروب القبلية.

الأعمال التطوعية الموسمية ذات الطبيعة الدينية:

يعد المجتمع العُماني أحد المجتمعات الإسلامية التي تتصف بالطابع المحافظ، وهذه الخاصية جعلت منه مجتمعا يعطى تقديرا كبيرا للمناسبات ذات الطبيعة الدينية، انعكس هذا الاهتمام على تسارع وتيرة الأعمال التطوعية المرتبطة بهذه المناسبات، ويمكن الاستشهاد بما ورد على ألسنة المبحوثين من أبناء تلك المناطق ومنها:

"في الأعياد كان زوجي مع أخوته يقومون بالذبح لباقي الجيران أو مساعدتهم بالذبح. نقوم نحن النساء بتوزيع العرسية أو الهريس الذي نطبخه على الجيران. كما نقوم بتوزيع المشاكيك (مشاوي اللحم) في ثاني أيام العيد على الجيران، وكذلك اخراج الشوى من التنور يتم بالتعاون بين الجيران. كذلك توزيع العيدية للأطفال".

"في الأعياد والمناسبات كان أكثر الناس مالا في القبيلة يقومون بإعداد وجبة الإفطار ووجبة الغداء وتكون الدعوة عامة لجميع أفراد القبيلة. توزيع أكلة "العرسية في كل عيد على بيوت الفقراء. كما، توزيع مبالغ نقدية بسيطة على الأطفال لإدخال البهجة في قلوبهم يوم العيد "العيدية".

"في مواسم الحصاد كانت الناس التي يثمر في مزارعها ثمرا معينا يقومون بالتوزيع منه على من لا يملكونه، وكان الناس في رمضان يعدون وجبات الفطور يتم وضعها أمام المسجد فيجتمع أبناء القبيلة وغيرهم ليفطروا منها".

وفى ضوء الشواهد السابقة أمكن استنتاج أهم الأعمال التطوعية الموسمية ذات الطبيعة الدينية التالية:

- تنظيف المساجد بشكل دوري ومستمر.
- المساعدة في بناء المساجد وتجهيزها خاصة قبل شهر رمضان المبارك.
- تجهيز وجبات لإفطار الصائمين في شهر رمضان المبارك ووضعها في مجالس مخصصة للمارة من الناس أو إرسالها للمسجد لإفطار الغرباء وعابري السبيل.
- خياطة الملابس في الأعياد والمناسبات الدينية والوطنية لأهل القرية دون أجر.
- توزيع لحوم الأضاحي على الفقراء والاهتمام بعيديات الأطفال الصغار.
- توزيع الأكل المطبوخ على الفقراء في المناسبات الدينية.

الأعمال التطوعية المرتبطة بالنشاط الاقتصادي:

تبين من حديث المبحوثين حول الأعمال التطوعية المرتبطة بالنشاط الاقتصادي؛ وجود دور مهم لمشاركة المرأة في تلك الأعمال، لدرجة أن هذا الدور لا يقل بأي حال من الأحوال عن دور الرجل ومن هذه الشواهد نسوق ما يلي:

"كان للمرأة دور في الأعمال التطوعية مثل جمع الحطب ليستفيد منه أهالي القرية، جمع ما يطلق عليه (الشوع) لكي تصنع منه زيتا يتم توزيعه للقرية والاستفادة منه، وأيضا تعاونها في جني الرطب وحصاده ومواسم جني المحاصيل الأخرى".

"تذهب مع صديقاتها لجمع الحطب. وترعى الماشية لها ولمن يطلب منها. تساعد الأخريات في تنظيف اللحوم فقد كان يجلب بكميات ثم يملح ثم يصف ويعرض للشمس. وكانت المرأة تشارك في تغسيل الميت وخياطه الكفن".

"وقت الحصاد (الجداد) يجتمع الاهالي والاصدقاء لتنقية التمور ووضعها في (الجواني) وعزل كمية منها لتنظيفها وكنزها في اوعيه محدده لوقت لاحق. وبعد الانتهاء يتم شكر الاهالي عن طريق القهوة وما تيسر من الاكل. واعطاء كمية من التمور للجيران".

"تتشارك في الجداد أي حصاد تمور النخيل وتعبئتها وتخزينها في الاكياس والأدوات الفخارية قديما".

" إن النساء والرجال يتشاركون في عمليات "الرقاط" وهي تجميع التمور المتساقطة، و"السحال والتنقية" وهي عملية إزالة التمور من على العود المحمل بالتمر وفصل التمور الجيدة من غير الجيدة، وعمليات "الكناز والتخزين" وغيرها من العمليات التي يتساعد فيها الناس في هذه الفترة".

"كان الناس يتشاركون ويساعدون بعضهم في حراثة الأرض خاصة كما قال إنهم كانوا يحرثون بأدوات بسيطة كالمعول وغيره، يتعاونون في تبذير الأرض (وضع البذور في التربة) وزراعتها".

" عندما ينهار منزل أحد أفراد القرية يشد الجميع من عزمه لمعاونته على اصلاح منزله ".

وفى ضوء الشواهد السابقة أمكن استنتاج أن أهم الأعمال التطوعية المرتبطة بالنشاط الاقتصادي تمثلت فيما يلي:

- المشاركة في حفر الآبار وشق الأفلاج وتنظيفها.
- إصلاح سواقي الأفلاج المنهارة.
- مساعدة الأفراد الذين يمرون بضوائق مالية طارئة من خلال تجميع بعض النقود من أهل القرية لدعمه حتى يعوض ما فاته من مكاسب ... إلخ.
- المساعدة في الأعمال الزراعية.
- المساهمة في العناية بالحيوانات.
- المساعدة في جمع الحطب مع نساء القرية لاستخدامات متعددة.
- المساعدة في رعاية الماشية الخاصة بالجيران والأقارب.
- المساعدة في جني الرطب وثمار النخيل وتبادل وإعارة الآلات الزراعية بين المزارعين.
- التطوع لري نخيل الجيران إذا كان الوقت ليلا والجار غير موجود.
- بالإضافة إلى توزيع التمور على سكان الشواطئ التي يحل بها الصيادون.
- المساعدة في إصلاح سفن وأدوات الصيد الخاصة بالجيران. وصنع قيود للحيوانات.
- صيد السمك وتوزيعه على الفقراء من أهل القرية والقرى المجاورة.
- مساعدة الأسر التي تتعرض لكارثة أو أزمة مفاجأة.

الأعمال التطوعية المرتبطة بالعلاقات الأسرية وحسن الجوار:

اختص هذا الجزء من البحث بالتعرف على أهم وأكثر الأعمال التطوعية المرتبطة بالعلاقات الأسرية وحسن الجوار، والتي دللت على وجودها ما جاء في سياق حديث المبحوثين، ومن ثم وجب علينا البدء باستعراضها كما يلي:

"في حالة الوفاة فيتساعد أبناء القرية جميعا، الرجال يتوجهون لحفر القبر، والأسر المقتدرة تساهم في دفع كلفة الكفن، كما تُقدم بعض الطعام الذي سيطبخ ويوزع على أهالي القرية، يتطوع رجل يطلق عليه اسم "المطوع" أو "المطوعة" لغسل الميت.

"هناك عمل تطوعي منظم يظهر في موسم حصاد النخيل فنجد بأن الرجال يقومون بإنزال التمر من النخيل، بينما يقوم الأطفال والنساء بتجميعه في الأسفل".

"في الأزمات تظهر ملحمة التطوع والتعاون بشكل رائع فيتسارع أهالي القرية في حالة نشوب حريق في مزرعة ما". " وكان يذهب الأطفال الصغار إلى أماكن بعيده في الجبال لرعي الاغنام ويتم فقدهم فيتعاون

الاهالي لعثور عليهم "، " تظهر صورة التطوع عند بناء المنازل التي كانت تبنى من الطين".

"وكنا نسافر رباعة نروح ولايات ثانية ونجيب زاد وبضاعة ح القرية وعاد لما نروح ولايات البحر نجيب سمك ومالح ونوزع منه على أهل القرية ".

"كانت تزور جارتها المريضة وتقوم بمسؤوليات بيتها من طبخ وتنظيف وغسيل واحضار الماي حتى تشفي".

"تخيط ملابس للأطفال والنساء سواء في الأيام العادية أو أيام الأعياد، وفي أيام رمضان كانت المرأة لازم تعطي جيرانها أو الفقراء في القرية من الطعام لي أعدته للفطور".

دللت الشواهد السابقة على أن العمل التطوعي العفوي والتلقائي الذي فرضته طبيعة الحياة الأسرية في القرى الريفية قد أخذ صورا وأشكالا عديدة، عززت من قيم التعاون والتكامل والترابط؛ ليس فقط داخل الاسرة الواحدة ولكن تعدى ذلك إلى الأقارب والجيران وسكان الحارة بل والقرية بأكملها. ومن خلال التحليل السابق أمكن استنتاج أن أهم الأعمال التطوعية المرتبطة بالعلاقات الأسرية وحسن الجوار تمثلت فيما يلي:

- المساعدة المتبادلة بين الجيران والأقارب وغيرهم في المناسبات العائلية المتعددة ومنها: قدوم مولود جديد، أعراس، مأتم وعزاء إعداد الطعام للمدعوين أو المعزيين وكذلك تقديم المواد الغذائية للأسرة التي لديها المناسبة.
- خياطة الملابس بدون مقابل، وخاصة وقت المناسبات كملابس العرائس ومساعدة العروس في توفير التجهيزات المطلوبة للعرس وللأسرة الجديدة وكذلك تزيين العروس وتجميلها.
- مساعدة المرأة أثناء عملية الولادة، حيث كانت تقوم بعض النساء بالطبخ والاعتناء بالصغار وكذلك الاعتناء بالدواجن والحيوانات المنزلية والمساهمة في إحضار "الفوالة" وهي عبارة عما يقدم للضيوف من فواكه وتمر وقهوة.... إلخ.
- تطوع بعض النساء لإرضاع الطفل الذي توفيت أمه أثناء أو بعد الولادة.
- إعارة الأواني المنزلية في أوقات المناسبات.
- المساعدة في تنظيف بيوت الجيران وتعطيرها بالبخور واللبان عند الاستعداد لمناسبة ما.
- إرسال "التباشير (أول ما ينضج من الرطب)" للفقراء.
- قيام نساء القرية بتنظيف شوارع القرية.
- تقديم المعونة المادية للأسر الفقيرة.
- مساعدة كبار السن في كثير من الأمور التي تخصهم.
- تبادل الأطعمة المطهوة مع الجيران والأقارب ودعوة الجيران لمشاركة الضيوف في تناول الولائم.
- تطوع البعض للسفر مع أحد الأقارب أو الجيران للعلاج.
- رعاية أسرة وأبناء الجار المسافر حتى يعود وتوفير الأمن والحماية لهم.
- الحرص على زيارات المرضى وصناعة الخبز والطعام وتوصيله لهم.
- صنع الْأُسَرَّة للأطفال الرضع والصغار وتقدم كهدايا لهم.
- التطوع في جلب المؤن من مناطق بيعها في المدن وتوزيعها على أهل القرية.
- الزيارات المتبادلة بعد صلاة العشاء في رمضان وإعداد القهوة حيث كانت تتطوع كل ليلة إحدى النساء لإعداد القهوة لباقي نساء الحارة.
- جلب المياه من الآبار والأماكن البعيدة وتوزيعها على الأهل والجيران.

- المساعدة في نقل أفراد القرية إلى الأماكن الأخرى، وكذلك توصيل المرضى إلى المستشفى، وكذلك مساعدة الجيران في الانتقال إلى مكان الإقامة الجديد.
- حمل الأمانات وتوصيلها لأهلها.

المتطوعون التقليديون في المناطق الريفية تمثلوا في:

على الرغم من مشاركة جميع أهل القرى من الرجال والنساء والأطفال في معظم الأعمال التطوعية إلا أننا لاحظنا تأكيد المبحوثين على بعض الممارسات التخصصية التي وسمت تلك المرحلة التطوعية حيث ذكر أحد المبحوثين:

" كان من يعاني بعض الآلام في المفاصل يذهب إلى من يجيد عمل المساج فيمسح له جسمه دون مقابل، وكان المطاوعة – الرجال الملتزمين دينيا – يقرأون على المتضررين بالعين والحسد دون مقابل مادي".

كذلك قيام بعض المعالجين الشعبيين بالتطوع لعلاج المرضى بالأعشاب الطبيعية، وكان هذا العلاج يقدم بدون مقابل مادي ومن منطلق إنساني بحت.

كما كانت عملية الولادة تتم من خلال متطوعة لها خبرة في التوليد "الداية أو القابلة" وفي الغالب تقوم بعملية توليد النساء بدون مقابل، كما مارس بعض الفقهاء والدعاة التطوع لعلاج المرضى بالقرآن.

خلاصة القول إن الأعمال التطوعية قدمت في الماضي من خلال تطوع بعض أبناء القرية المهرة والمتميزين في المجالات المتعددة التي عجزت الدولة وقتها عن توفيرها للمواطنين ومن هؤلاء المتطوعين: الدعاة والمعلمون وحفظة القرآن الكريم، والمعالجون الشعبيين والمعالجون بالقرآن، والمتخصصين في حفر وتنظيف وصيانة الأفلاج والآبار، ومحترفو البناء، ومحترفو إصلاح سفن الصيد، والخياطة، والطهاة، والمرضعات، والقابلات (المولدة الشعبية)، المطربون الشعبيون، وصيادو الأسماك والمختصون في إصلاح السفن وأدوات الصيد.

النتائج المتعلقة بنماذج العمل التطوعي في المجتمعات الحضرية:

تشير الأدبيات النظرية المحدودة إلى أن العمل التطوعي ذا الطبيعة والتوجهات التعليمية بالمجتمعات الحضرية كان له وجود ملحوظ في المدن الكبرى بالسلطنة قبل عام ١٩٧٠م. حيث كان التعليم محصورا في الكتاتيب وحلقات المساجد التي كانت تلقن القرآن الكريم وتعلم مبادئ الدين الإسلامي واللغة العربية والحساب، ومن أبرز مدارس المساجد التاريخية في عمان مدرسة الرحيل التي أنشأها العالم "محبوب بن الرحيل" في صحار ومدرسة قرية قصرى ومعهد جامع البياضة بالرستاق ومدرسة الضرح بولاية بهلا، وقد أنشأها "أبو محمد عبد الله البهلوي" وأنفق عليها من ماله، ومدرسة القلعة في نزوى. وهكذا استمرت المسيرة من جيل إلى جيل لتخريج العلماء (وزارة التربية والتعليم، ٢٠١٠).

الأعمال التطوعية العامة:

أكد غالبية المبحوثين على وجود العديد من الأنشطة التطوعية التي سادت في مناطقهم قبل عام ١٩٧٠م؛ حيث أكدوا على أن التطوع في المجال التعليمي أتى على رأس سلم أولويات الأعمال التطوعية كما كان الحال في المناطق الريفية، ويعود السبب في ذلك إلى عدم وجود نظام تعليمي رسمي معتمد أو حتى شبه رسمي، الأمر الذي جعل العُمانيين يعطون التعليم الأولوية الأولى في سلم أولويات الأعمال التطوعية، حيث ظهرت لديهم أفكار علمية تم الاستفادة منها في تنفيذ العمل التطوعي في المجال التعليمي؛ على سبيل المثال ظهور جماعات المساعدة الذاتية التي تتولي مسؤولية التعليم من خلال حلقات العلم بالمساجد والكتاتيب التي تم إنشاؤها بالجهود الذاتية بعيدا عن تدخل الدولة أو مساعدتها.

كما إننا نفسر ذلك أيضا في ضوء رؤية العُمانيين للتعليم بوصفه أداة فعالة لتحقيق أهداف التنمية ودفع النظام الثقافي في المجتمع، وكونه المدخل الصحيح

لمواجهة تحديات العمل ومتطلباته، فالتعليم ليس مجرد حق أو مطلب وإنما هو ضرورة حياة وبقاء؛ بل دعامة للأمن الوطني لأي مجتمع في عالم لا مكان فيه لغير المتعلم (المسلمية، عبد الفتاح، البوسعيدي، جودة، و المعولي، ٢٠١١، الصفحات ١١٩-١٢٠).

وفى هذا الصدد نستشهد ببعض المقولات التي وردت على ألسنة المبحوثين:

"كان في متعلمين من الناس اللي سافروا وتعلموا في المدن الكبيرة على أيدي المشايخ والعلماء، ولما رجعوا كانوا يدرسون للأطفال في المساجد. "، "جلسنا مع بعض الشيوخ بالحارة وقررنا نخصص غرفة لتعليم وتحفيظ الأطفال القرآن الكريم"، " في شخص عندنا في الحارة خصص قطعة ارض وبنى مسجد وتحمل بالتكلفة كاملة، وكمان كان يعطى راتب للمسؤول عن المسجد، واحنا كنا نشارك في التنظيف وتهيئة المسجد خاصة قبل شهر رمضان"، "المشاركة في حفر الآبار، حيث كان الرجال يتعاونون فيما بينهم لحفرها".

من خلال تحليل مضمون استجابات المبحوثين نؤكد على أن نتائج التحليل رسخت حقيقة مؤداها أن المجتمع العُماني لم يشهد في بداية عهده بالتعليم في مرحلة ما قبل عصر النهضة أي نظام تعليمي متطور؛ حيث اعتمد التعليم في الأساس على وجود بعض الكتاتيب التي تم إنشاؤها بالاعتماد على المبادرات التطوعية الفردية أو على الجهود التطوعية الجماعية للأهالي، هذا بالإضافة إلى الاهتمام بالحلقات العلمية والدينية التي كانت تقام بالمساجد؛ حيث أسهمت تلك الحلقات في ظهور العديد من الفقهاء والعلماء والأدباء والشعراء الذين كان لهم دورا مهما في الحفاظ على التراث العُماني الذي كان موجودا بالإضافة إلى المحافظة عليه من الاندثار. ويمكن أن نستنتج أن أهم الأعمال التطوعية العامة تمثلت في الأعمال التالية:

- إنشاء الكتاتيب لتعليم الأبناء القراءة والكتابة ومبادئ الحساب وحفظ القرآن الكريم وعقد حلقات الذكر والدروس الدينية.
- بناء المساجد، وتنظيفها وترميمها.
- تنظيف طرقات الحي.
- العلاج الشعبي لمعالجة بعض الأمراض من خلال استخدام الأعشاب وتجبير الكسور والوسم بدون مقابل مادي.
- قيام المولدة بتوليد جميع النساء بالحي بدون مقابل.
- مساعدة كبار السن ومد يد العون لهم في كل ما يحتجونه.
- توزيع الأسماك على الناس دون مقابل.

الأعمال التطوعية الموسمية ذات الطبيعة الدينية:

في هذا الإطار يمكن الاستشهاد ببعض مما ورد على ألسنة المبحوثين:

"في الأعياد والمناسبات كان أكثر الناس مالا في الحي يقومون بإعداد وجبة الإفطار ووجبة الغداء وتكون الدعوة عامة لجميع أفراد الحي".، "تقوم الأمهات بتوزيع الطعام المطبوخ على بيوت الفقراء الذين لا يستطيعون إعدادها"، "كان الرجال الذين يجيدون ذبح الأضاحي بذبح أضاحي الجيران غيرهم ممن لا يجيدون ذلك". "بعض الناس الميسورين كانوا يوزعون مبالغ نقدية على المحتاجين والفقراء ويعطون للأطفال "العيدية" عشان يفرحون ".

ومن خلال تحليل مضمون استجابات المبحوثين من كبار السن ببعض المدن والمجتمعات الحضرية أمكن استنتاج أن أهم هذه الأعمال التطوعية تمثلت فيما يلي:

- تبادل الأطعمة المطهوة مع الجيران وتكثر هذه التبادلات في شهر رمضان المبارك وفي الأعياد والمناسبات الدينية والوطنية.

- توفير طعام الإفطار في المساجد في شهر رمضان للفقراء والمحتاجين وعابري السبيل.
- الصدقات للفقراء والمساكين ومساعدة المحتاجين.
- ذبح الأضاحي وتوزيعها على الفقراء، ومساعدة الجيران في ذبح أضاحيهم.
- توزيع الأكلات العُمانية الشعبية على الأسر الفقيرة والمحتاجة
- ترميم المساجد وتهيئتها استعدادا لاستقبال الشهر المبارك.
- شراء الملابس الجديدة وتوزيعها قبل العيد على الأسر الفقيرة.
- المواظبة على احتفال" القرنقشوه" وهو تقليد اجتماعي ارتبط بليلة منتصف شهر رمضان. (صحيفة الوطن، ٢٠١٧)..

الأعمال التطوعية المرتبطة بالنشاط الاقتصادي:

هذه الأعمال التطوعية لن تخرج عن إطار المساعدة في بعض أو كل أوجه النشاط الاقتصادي المرتبط بطبيعة بيئة المجتمعات الحضرية، لقد اتسم نشاط المدن العُمانية في مرحلة ما قبل عصر النهضة بالتنوع فكان يتضمن التجارة والصيد وعملية تصنيع أدواته والأدوات البسيطة المستخدمة في الزراعة، بالإضافة إلى بعض الصناعات الحرفية التي ارتبطت بالتراث العُماني كصناعة الخناجر والسيوف والحلي وغيرها من الصناعات التي كانت تعتمد على المهارة البشرية، كذلك وجدت كثير من المزارع على أطراف المدن الحضرية كما هو الحال في مسقط وصحار وصلالة وصور ونزوي وبهلاء وغيرها من المدن الكبرى، كما أكد غالبية المبحوثين على أن النشاط التجاري كان يحتل مكانة كبيرة مقارنة بالأنشطة الأخرى ونسوق بعد الشواهد على هذه النوعية من الأعمال التطوعية:

" التعاون بين أهل الحي في ترميم وتنظيف الآبار عشان ضمان مياه الشرب ونظافتها"

"الفلج يحتاج تنظيف وترميم وإعادة بناء وكان الناس اللى تفهم في الموضوع ده قليلين ولكن الكل كان بيقدم شيء"

"كما كنا نعلم النساء اللاتي لا يجيدن الخياطة فعلها لاتخاذها مصدرا للرزق وذلك دون مقابل"

"دايما كان الصيادون لما يعودوا من الصيد في جزء من السمك يوزع على الناس، الفقير واللي يبي ياخد"

" كان زمان مراكب الصيد عادية خشبية ولم يكون فيها شيء يمنعها من الإبحار، كان يتطوع بعض الصيادين اللي يفهمون ويصلحوها بدون مقابل".

"كانت المزارع موجودة وما ترتبط بقرية ولا مدينة وكنا نتعاون في حرث الأرض وحتى جنى المحاصيل والثمار"

"بعض التجار كانوا يهتمون كثيرا بالفقراء والمساكين وكانوا يوزعون عليهم الصدقات والزكاة واللي يحتاج شيء"

" أحيانا محل أو دكان يحترق وصاحبه ما عنده شيء غيره، فكان يتعاون أصحاب الدكاكين الصغيرة والكبيرة ويسعدون المنكوب "، " تعاون التجار مع بعضهم لمساعدة التاجر الخاسر أو المفلس "

من خلال تحليل مضمون استجابات المبحوثين أمكن استنتاج أهم الأعمال التطوعية المرتبطة بالنشاط الاقتصادي والتي تمثلت في:

- حفر وتنظيف آبار المياه والأفلاج.
- التعاون في جني ثمار النخيل.
- مساعدة المزارعين والجيران بعضهم في حرث الأرض وزراعتها وحصاد المحاصيل.
- توزيع الأسماك على الناس دون مقابل.
- المساعدة في الصيد وإصلاح مراكب الصيد الخاصة بالغير.
- تبادل أدوات الصيد بين الصيادين.
- توزيع بعض ما اشتراه الأفراد من الخارج على الفقراء والمحتاجين.
- تعاون أصحاب المحال فيما بينهم لمساعدة التاجر الذي تعرض لنكبة أو خسارة.

الأعمال التطوعية المرتبطة بالعلاقات الأسرية وحسن الجوار:

في هذه الفقرة نحاول عرض نتائج تحليل مضمون المقابلات للتعرف على أهم وأكثر الأعمال التطوعية المرتبطة بالعلاقات الأسرية وحسن الجوار في المناطق الحضرية، ومن ثم وجب علينا البدء باستعراض بعض من تلك الشواهد الميدانية قبل تحليلها واستخلاص مضمونها:

" في حالة وجود ضيوف في أحد المنازل، كانت تجمع أجمل الأواني من بيوت الجيران لتقديم الطعام بها، فتكون لائقة بوجود الضيف". "عند الوفاة كان رجال الحارة يجمعون الأموال للقيام بشراء الطعام وتقديمه لبيت المتوفي لمدة ثلاثة أيام، وتتعاون النساء في طهيه، "أبسط شيء أننا كنا نتناوب في الطبخ في منزل إحدى جاراتنا، لأنها تزوجت في سن صغيرة ولم تكن تتقن إعداد الطعام مما كان يثير غضب زوجها عليها، فكنا نطبخ عنها ونعلمها في ذات الوقت". "أن مشاركة المرأة في الأعمال التطوعية لم تكن على نطاق واسع، لكن كان لها دور واضح جدا في المشاركة في الأعراس"، "بعض الشباب يتطوعون بالغناء والرقص حتى يحيون العرس وده كان بيسعد الفقراء اللي غير قادرين على الدفع للمطرب الشعبي"

في ضوء كل تلك الشواهد الميدانية التي تحصلنا عليها والتي انتقينا بعضا منها، يمكننا أن نوجز أهمها هذه الأعمال فيما يلي:

- طهي وتقديم الطعام لأهل المُتوفي.
- التعاون في المناسبات المختلفة (عرس – عزاء – عزيمة) وكذلك في حالات الحوادث والوفيات من خلال تقديم المساعدات المالية والعينية لمن لديهم المناسبة، أو من خلال التطوع بأداء بعض الأعمال التي تسهم في إنجاح المناسبة.
- قيام نساء الجيران بتنظيف منزل المتوفى فترة العزاء.
- تدريب العروس الجديد وخاصة صغيرات السن على تدبير وإدارة شؤون المنزل.
- المساهمة في تحمل تكاليف زواج الفقراء ماليا وعينيا.
- إحياء ليالي الأعراس من قبل المطربين الشعبيين بدون مقابل لغير القادرين.
- تبادل الدواب ووسائل النقل والمواصلات، ونقل الأفراد والأسر من مكان إلى آخر دون مقابل مادي.
- السماح للجيران والأهل وغيرهم باستعمال مياه الآبار للشرب والاستخدامات المنزلية المتعددة وشرب الحيوانات والمزروعات بدون مقابل.
- مساعدة المرأة المريضة أو التي في مرحلة المخاض على ولادة المولود وكذلك جلب الماء لها وتنظيف منزلها وغسل ملابسها وجلب الحطب والأخشاب من الجبال لإعداد الطعام لها ولأطفالها.

المتطوعون التقليديون في المناطق الحضرية تمثلوا في:

أكد كثير من المبحوثين على قيام بعض المعالجين الشعبيين بالتطوع لعلاج المرضى بالأعشاب الطبيعية، أو ما يسمى بالعلاج الشعبي أو التقليدي، كما كانت الولادات تتم من خلال القابلة الشعبية، كما مارس بعض الفقهاء والدعاة التطوع لعلاج المرضى بالقرآن. خلاصة القول إن الأعمال التطوعية قدمت في الماضي من خلال تطوع بعض المهرة من أبناء المناطق الحضرية في مجالات متعددة وقد تمثل هؤلاء المتطوعين في: الدعاة والمعلمون وحفظة القرآن الكريم، والمعالجون الشعبيون والمعالجون بالقرآن، والمتخصصون في حفر وتنظيف وصيانة الأفلاج والآبار، ومحترفو إصلاح سفن الصيد، والخياطة، والمرضعات، والمولدة الشعبية، والمطربون

الشعبيون، وصيادو الأسماك والمختصون في إصلاح السفن وأدوات الصيد، بالإضافة إلى التجار.

القراءة الاجتماعية للنتائج

ليست بالضرورة أن تكون الأعمال التطوعية أعمالا للهواة، بل هي في الحقيقة أعمال تؤدى من قبل أولئك الأشخاص الجادين والمتحملين للمسؤولية الاجتماعية تجاه أنفسهم وأسرهم ومجتمعاتهم المحلية، إذ إن تحرك تلك الجهود التطوعية كان بمثابة مبادرات فردية وجماعية من أجل الإسهام في إشباع الاحتياجات ومواجهة المشكلات الحياتية التي تسقط من النسق الرسمي لمؤسسات الرعاية الاجتماعية الحكومية على مستوى المجتمعات المحلية وعلى مستوى المجتمع الأكبر أو بسبب عدم وجود هذا النسق من الأساس كما في حالة المجتمع العماني قبل عام ١٩٧٠م؛ لذا فإننا هنا نقدم قراءة اجتماعية للنتائج المستخلصة.

لقد لوحظ شيوع كثير من المفهومات البديلة لمفهوم التطوع أو العمل التطوعي، فلم يكن العُمانيون في مرحلة ما قبل عصر النهضة يطلقون على العمل التطوعي هذا المصطلح، بل كانوا يعدونه من باب الصدقة والتكافل من منطلقات دينية وإنسانية؛ لذا لاحظنا ورود العديد من المفاهيم البديلة التي كان من أكثرها استخداما مفهوم المساعدة والتعاون والإحسان و عمل الخير، وقد تم تجسيد ذلك عمليا من خلال وجود حقيقي لجماعات المساعدة الذاتية وجماعات المساعدة المتبادلة في كافة المجتمعات والمناطق الجغرافية بالمجتمع العُماني، حيث ارتبط وجود تلك النوعية من الجماعات بالظروف الاجتماعية والاقتصادية التي عاشها العُمانيون في مرحلة ما قبل عصر النهضة.

كما استنتجنا اتسام الخدمات التطوعية المقدمة في تلك الفترة بالشيوع وعدم التمييز؛ فلم يميز القائم بالتطوع في تقديم خدماته التطوعية بين المستفيدين منها؛ إذ لم يقتصر تقديم الخدمات التطوعية على أبناء القبيلة أو حتى على أبناء القرية أو المنطقة فقط، بل تعدت كل تلك الحدود؛ إذ كانت تقدم بتوسع لتمتد وتشمل كافة المحتاجين والمستحقين للمساعدة أينما وجدوا.

ومن الملاحظات الجديرة بالذكر، تلك الملاحظة التي تمثلت في عدم ظهور أي شكل من أشكال المؤسساتية في العمل التطوعي؛ فلم توجد مؤسسات تطوعية عمانية على أي مستوى من المستويات تتولى تقديم خدمات اجتماعية أو صحية أو تعليمية للمواطنين في تلك المرحلة، لكننا التقاطنا مؤشرات واضحة تدلل على وجود بعض الأعمال التطوعية الجماعية، من بينها تلك الأعمال التي كانت تقدم من خلال جهود بعض جماعات المساعدة الذاتية أو جماعات المساعدة المتبادلة. وهذه النتائج تتوافق مع ما أكدته إحدى الدراسات السابقة التي أشارت إلى أن الاعتراف بأهمية التطوع في العديد من المجتمعات والمنظمات التطوعية والجهود الفردية التطوعية لم يزدهر إلا في العقود الأخيرة (Debbie , Lucas, & Lesley, 2009)

ومن بين النتائج اللافتة للانتباه، التشابه الكبير في كثير من الأعمال التطوعية في كافة المناطق الصحراوية والريفية والحضرية بالمجتمع العُماني مثل: إنشاء الكتاتيب حيث كان عملا تطوعيا اتسم ببعض التنظيم في كافة المجتمعات دون استثناء، وقد يفسر ذلك في ضوء إدراك العُمانيين لقيمة التعليم وفهمهم لمعنوية الارتباط ين فهم التعاليم الدينية والمحافظة عليها وبين تحصيل العلم والتعلم الدنيوي، وقد دعم تنامي الأعمال التطوعية المرتبطة بالتعليم غياب النظام التعليمي الرسمي وحتى شبه الرسمي في فترة ما قبل ١٩٧٠م.

لقد أسهمت الظروف الموحدة التي عاشها العُمانيون في إدراكهم لضرورة وحتمية التعاون من أجل التغلب على صعوبات الحياة، الأمر الذي انعكس على تشابه الجهود التطوعية في مجالات عديدة إضافة إلى المجال التعليمي، كان من أهمها مجال تقديم الخدمات الصحية، حيث لوحظ تأكيد المبحوثين في كافة مناطق

البحث على عدم وجود نظام صحي رسمي الأمر؛ الذي ساعد على خلق وتنامي الخدمات الصحية غير الرسمية التي قدمت في إطار الأعمال التطوعية.

ومن خلال استقراءنا للنتائج السابقة، يمكننا القول إن تشابه كثير من الأعمال التطوعية في كافة مناطق البحث بالرغم من الاختلافات الجغرافية بينها؛ قد يرجع إلى تماهي ظروف كثير من البوادي مع الريف، وكذلك تماهي كثير من المناطق الريفية مع المناطق الحضرية، فلم تكن تُعرف حدود فاصلة بين كثير من تلك المناطق. فعلى سبيل المثال يعتمد النشاط الاقتصادي في البادية على الرعي؛ إلا أن كثيرًا من البوادي كانت تعتمد على الزراعة أيضا التي هي أساس الاقتصاد الريفي، كما اهتم كثير من القرويين بالرعي وتربية المواشي والأغنام والإبل الذى هو أساس اقتصاد المراعي لدى البدو. كذلك فإن الحدود الفاصلة بين كثير من المدن والقرى لم تكن ملحوظة، لا من حيث النشاط الاقتصادي ولا من حيث النمط العمراني باستثناء بعض المدن العُمانية ذات التاريخ الضارب بجذوره في القدم وذات الأنشطة الاقتصادية المميزة والتي كانت يوما ما مركزا لإدارة الدولة. كما نود التأكيد على أن كثيرًا من المناطق العُمانية قد عمد سكانها ولا يزالون إلى الانتقال من حياة المدينة أو القرية إلى حياة الجبل، وأن الأسرة العُمانية في تلك المناطق ما فتئت تعمد لأن يكون لها أكثر من محل للإقامة، أحدها في القرية أو المدينة أو على الساحل وآخر في البادية أو في الجبل أو في الداخل بعيدا عن الساحل، ويكون الانتقال بينهما موسميا تبعا لطبيعة الظروف الموسمية وتماشيا مع طبيعة البحث عن الرزق، كما هو الحال في مدن محافظتي ظفار وبعض مناطق محافظة الشرقية وجزيرة مصيرة على سبيل المثال وليس الحصر، ومن ثم تتوفر في مثل هذه النوعية من السكان ميزة اكتساب خصائص أكثر من منطقة جغرافية في ذات الوقت.

أن غياب دور الدولة بشكل ملحوظ في تلك الفترة وعدم تحملها لمسؤوليتها الأساسية في توفير الخدمات التعليمية والصحية على وجه التحديد؛ قد أدى إلى لجوء العُمانيين للاعتماد على إمكاناتهم الذاتية في إشباع احتياجاتهم الأساسية ومواجهة مشكلاتهم الحياتية، وخاصة ما يتعلق بالتعليم والصحة. وفي هذا الإطار يمكن أن نلحظ وجود علاقات ارتباطية تبادلية بين كثير من المتغيرات التي أوجدتها الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي اتسم بها المجتمع العُماني في مرحلة ما قبل عام ١٩٧٠م. تلك العلاقات التي يصعب فيها تحديد وفصل المتغيرات المستقلة عن المتغيرات التابعة، وكذلك يصعب من تحليلها تحديد اتجاهات التأثير والتأثر فيما بينها؛ فعلى سبيل المثال، يمكن النظر إلى الظروف المجتمعية في مرحلة ما قبل عصر النهضة بوصفها متغيرا مستقلا أدى إلى تنامي متغيرات وسيطة كالتعاون والتكافل والعلاقات الاجتماعية الطيبة وغيرها، تلك التي أسهمت في وجود روح الاعتمادية المتبادلة التي بدروها شجعت على تدعيم وتمكين المواطنين من أجل العمل سويا على إشباع احتياجاتهم الأساسية ومواجهة مشكلاتهم الحياتية. ومن ثم أصبح العمل التطوعي متغيرا مؤثرا في الظروف المجتمعية، وعليه يمكن أن نصف الظروف المجتمعية بأنها تحولت من لعب دور المتغير المستقل إلى لعب دور المتغير التابع عند ولادة المتغير الجديد المتمثل في العمل التطوعي.

لم يكن العمل التطوعي على فئة محددة من السكان دون غيرها، بل تميزت الأعمال التطوعية بمشاركة كافة الفئات المجتمعية بل والعمرية دون استثناء؛ فعلى حسب طبيعة العمل التطوعي تتحدد الفئة التي ستقوم به، فلم تلك الأعمال التطوعية مقصورة على الرجال والنساء دون الأطفال؛ فقد كان للأطفال أيضا نصيب من المشاركة في تلك الأعمال ومنها على سبيل المثال: مساعدة المكفوفين في ذهابهم إلى المساجد والعودة إلى منازلهم، وكذلك إيصال الأشياء العينية التي يتم التبرع بها إلى أصحاب الحاجة ومتلقي المساعدة، بالإضافة إلى حمل الماء والطعام والقهوة

والتمور للجيران في مزارعهم أو للعمال أثناء المشاركة في بناء المساجد وترميمها.

وختاما يمكن التمييز بين ثلاثة أنماط أساسية للعمل التطوعي في تلك الفترة، تمثل النمط الأول في العمل التطوعي من حيث ظروفه وطبيعة تنفيذه حيث وجد العمل التطوعي الطارئ، والعمل التطوعي المنظم أو شبه المنظم، كذلك أمكن لنا ملاحظة وجود نمط ثان ذلك النمط الذي يعتمد في تصنيفه على أساس الفردية أو الجماعية؛ حيث وجدت الأعمال التطوعية الفردية وكذلك الجماعية إلا أنه لم يُلحظ وجود أي شكل من أشكال الأعمال التطوعية المؤسساتية على الإطلاق، كذلك تم ملاحظة وجود نمط ثالث من الأعمال التطوعية يعتمد على أساس مدة ومدى التأثير الذي يوجده هذا العمل، حيث تم التأكيد على وجود أعمال تطوعية محدودة المدى وذات تأثير لحظي، وكذلك التأكيد على وجود أعمال تطوعية ذات تأثير متوسط، وأعمال تطوعية ذات تأثير مستمر أو دائم.

وختاما يوصي البحث بالعمل لتوفير الموازنات الكافية لتنفيذ مسح استراتيجي شامل للتراث اللامادي للعمل التطوعي بالمجتمع العُماني بغية جمعه وتنقيته حفاظا عليه من الاندثار، حيث إن هذا التراث اللامادي لم يسبق حصره ولا تحديده من قبل أي من الجهات المختصة، فهو محفوظ مؤقتا في ذاكرة بعض المسنين الذين عاصروا فترة ما قبل ١٩٧٠م فقط؛ لذا فإن تنفيذ دراسات لاحقة تتعلق بدراسة التاريخ الاجتماعي للمجتمع العُماني وخاصة في تلك الفترة يُعد ضرورة مُلحة، على أن تنطلق هذه الدراسات سريعا؛ بغية الحصول على المادة الميدانية المتعلقة بهذه الموضوعات في أقرب وقت خشية عدم التمكن من جمعها مستقبلا؛ فالمصدر الأساسي بل والوحيد هم الإخباريون من كبار السن الذين لديهم المقدرة على إعطاء الوصف الدقيق للتاريخ الاجتماعي للمجتمع العُماني في تلك الفترة بوصفهم حماة التراث لأي مجتمع إنساني.

شكر وتقدير وإقرار

أنه تم تنفيذ البحث الحالي في إطار المشروع البحثي "IG/ART/SOCI/18/02" التابع لجامعة السلطان قابوس بسلطنة عمان ، والموسوم بـ العمل التطوعي في المجتمع العماني في فترة ما قبل عصر النهضة دراسة من منظور الخدمة الاجتماعية.

المراجع

Barker, R. (1987). *The Social Work Dictionary.* Maryland: National Association of Social Workers-Silver Sprin.

Chalip, L. (2000). Volunteers and the organization of the Olympic games: Economic and formative aspects. In N. Puig , & A. Moreno (Ed.), *the Symposium on Volunteers, Global Society and the Olympic Movement Lausanne* (pp. 205-2014). Lausanne, Switzerland: International Olympic Committee.

Cnaan, R., Handy, F., & Wadsworth, M. (1996). Defining who is a volunteer: Conceptual and empirical considerations. *Nonprofit and Voluntary Sector Quarterly, 25*(3), pp. 364-383.

Debbie , H.-L., Lucas, C. M., & Lesley, H. (2009). The Third-party Model: Enhancing Volunteering through Governments, Corporations and Educational Institutes. *39*(1), pp. 139–158. doi:doi:10.1017/S0047279409990377

Debbie , H.-L., LUCAS, C. M., & LESLEY, H. (2009). The Third-party Model: Enhancing Volunteering through Governments, Corporations and Educational Institutes. *39*(1), pp. 139–158. doi:doi:10.1017/S0047279409990377

Dictionary.com. (2019). *DEFINITIONS*. Retrieved December 26, 2019, from Dictionary.com: https://www.dictionary.com/browse/volunteer

govolunteer.com. (2015). *Definition of Volunteering & Explanatory Notes*. Retrieved Decamber 26, 2019, from https://govolunteer.com.au/: https://govolunteer.com.au/legal/definition-of-volunteering

Green , R. R., & knee, R. (1996, September). Stopping the Policy Practice Agenda of Social Work in the Field of Aging. *Journal of Social Work, 41*(5).

GREGOROVÁ, A. B., & Matej , M. S. (2014). Volunteering in the Context of Social Work – Historical Connection and Perspectives. *Historia i Polityka, 12*(19), pp. 97-110. doi:http://dx.doi.org/10.12775/HiP.2014.022

Lockstone-Binney, L., Kirsten, H., Smith, K., & Baum, T. (2010, Nov 19). Volunteers and volunteering in leisure: social science perspectives,. *Lesiure Studies, 29*(4), pp. 435-455. doi:10.1080/02614367.2010.527357

Lockstone-Binney, L., Kirsten, H., Smith, K., & Baum, T. (2010, Nov 19). Volunteers and volunteering in leisure: social science perspectives,. *Lesiure Studies*, pp. 435-455. doi:10.1080/02614367.2010.527357

Marshall, M., & Dixon, M. (1996). *Social Work with Older People* (3 ed.). (British Association of Social Workers (BASW) Practical Social Work), Macmillan.

Moss, C. H. (2006, May 3). *History of Volunteering*. Retrieved December 25, 2019, from charitychannel.com: https://charitychannel.com/history-of-volunteering/

Moss, C. H. (2006, May 3). *History of Volunteering*. Retrieved December 25, 2019, from charitychannel.com: https://charitychannel.com/history-of-volunteering/

Moss, C. H. (2019). *History of Volunteering*. Retrieved December 25, 2019, from charitychannel.com: https://charitychannel.com/history-of-volunteering/

Sabharwal, S., Wilson, H., Reilly, P., & Gupte, C. M. (2015). Heterogeneity of the definition of elderly age in current orthopaedic research. *516*(516). doi:10.1186/s40064-015-1307-x

Schroeder, D., Graziano, W., Stukas, A., & Snyder, M. (2015, May 1). Volunteerism and Community Involvement: Antecedents, Experiences, and Consequences for the Person and the Situation. *The Oxford Handbook of Prosocial Behavior*. Retrieved Dec. 26, 2019, from https://www.oxfordhandbooks.com/view/10.1093/oxfordhb/9780195399813.001.0001/oxfordhb-9780195399813-e-012.

Scott, M. R. (2019, March 25). *The Tudors – Elizabethan Poor Law 1601*. Retrieved Jun 10, 2019, from https://www.historyonthenet.com/roman-food: https://www.historyonthenet.com/the-tudors-elizabethan-poor-law-1601

Sundeen, R. A., Garcia, C., & Wang, L. (2007, October). Volunteer Behavior Among Asian American Groups in the United States. *Journal of Asian American Studies, 10*(30), 243-281. doi:10.1353/jaas.2007.0031

Tuan, Y. (2005). Can volunteerism be promoted through government administration? *Volunteer Service Journal*, pp. 16-23.

Voluntary Action Rotherham. (2019). *What is Volunteering?* Retrieved December 26, 2019, from Voluntary Action Rotherham: https://www.varotherham.org.uk/what-is-volunteering/

Webster , M. (2020). Retrieved January 5, 2020, from https://www.merriam-webster.com/dictionary/voluntarism

Webster , M. (2020). Retrieved January 5, 2020, from https://www.merriam-webster.com/dictionary/voluntary

World Health Organization. (2002). *Proposed working definition of an older person in Africa for the MDS Project.*

WHO. Retrieved January 6, 2020, from https://www.who.int/healthinfo/survey/ageingdefnolder/en/

باسمة عبد العزيز العثمان. (٢٠١٣). التعليم في سلطنة عمان ١٩٧٠-١٩٩٥. مجلة كلية التربية ألساسية. ١٣، الصفحات ٧٥-٨٣. الموصل: كلية التربية- جامعة الموصل.

شيخة المسلمية، عايدة عبد الفتاح، راشد البوسعيدي، عبد الوهاب جودة، و يحى المعولي. (٢٠١١). *المجتمع العماني المعاصر* (الإصدار الثاني). (عبد الرحمن صوفي عثمان، المحرر) مسقط: جامعة السلطان قابوس.

صحيفة الوطن. (١١ يونيو, ٢٠١٧). احتفال "القرنقشوه" تقليد إجتماعي ارتبط بليلة الخامس عشر من شهر رمضان. *الوطن*. تم الاسترداد من http://alwatan.com/details/198824

قابوس بن سعيد. (١٣ فبراير, ٢٠٠٠). قانون الجمعيات الأهلية. *الجريدة الرسمية*(٦٦٥).

منظمة الأمم المتحدة. (١ أكتوبر, ٢٠١٩). *اليوم الدولي للمسنين*. تاريخ الاسترداد ٢٤ ديسمبر, ٢٠١٩، من منظمة الأمم المتحدة: https://www.un.org/ar/events/olderpersonsday/

وزارة التربية والتعليم. (٢٠١٠). *تاريخ تطور التعليم في سلطنة عمان*. تاريخ الاسترداد ٦ يناير, ٢٠٢٠، من بوابة سلطنة عمان التعليمية: http://www.moe.gov.om/Portal/sitebuilder/Sites/EPS/Arabic/IPS/Right_Menu/Edu_System/eduinoman1.aspx